الفصل السابع

ثانيا : نظـرة الاسـلام للفـرد

والاسلام يمنـح الفرد الحـرية الفردية فى أجمـل صورها والمساواة الانسانية فى أدق معانيهـا ولكنه لا يتركهـا فوضى فللمجتمع وللانسانية حسابها وللاهداف العليا للدين قيمتها لذلك يقرر مبدأ المسئولية الفـردية فى مقابل الحرية الفردية ويقرر الى جانبها المسئولية الجمـاعية التى تشمل الفرد والجماعة بتكاليفها وهذا ما يسمى بالتكافل الاجتماعى ٠

والاسلام يقرر مبدأ التكافل الاجتماعى فى كل صوره وأشكاله ، فهناك التكافل بين الفرد وذاته لان الحرية الفردية المطلقة كفيلة بان تحطم المجتمـع كما تحطم الفرد ذاته ، والفرد ذاته له مصلحة خاصة فى أن يقف عند حدود معينة فى استمتاعه بحريته لكى لا يذهب مع أهوائه ورغباته وشهواته وملذاته الى حد الهلاك أو حتى لا تصطدم حريته بحرية الاخرين فتكون دمارا على الجماعة ٠ ومن خلال الحرية المسموح بها للفرد فان كل فرد مكلف أن يراعى مصالح الجماعة كانه حارس لها فالرسول عليه الصلاة والسلام يشبه الحياة فى المجتمع بسفينة فى خضم هذه الحياة والراكبون فيها فردا فردا مسئولون عن سلامة هذه السفينة وليس لاحد منهم أن يخرق موضعا منها باسم الحرية الفردية لان هذا التصرف فيه أذى لبقية ركاب السفينة فقد تغرق بهم جميعا ٠

قال عليه الصلاة والسلام :

« مثل القـائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا فى سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فان تركوهم وما ارادوا هلكوا وان أخـذوا على ايديهم نجـوا ونجـوا جميعا » (١) ٠

فالحرية الفردية لابد أن يقابلها مسئولية أمام الفرد والمجتمع والدين ٠

---

(١) رواه الترمذى والبخارى واللفظ للبخارى ٠

قال تعـــالى :

« وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين » (١) ٠

وقال تعـــالى :

« هو الذى جعـــل لكم الارض ذلولا فامشـوا فى مناكبهـــا وكلـوا من رزقه » (٢) ٠

« يا بنى آدم خـــذوا زينتكم عنـــد كل مسجـــد وكلـوا واشربوا ولاتسرفوا » (٣) ٠

« فاما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هى المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن لهوى ، فان الجنة هى المأوى (٤) ٠

« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » (٥) ٠

« خذوه فغلوه ، ثم الجحيم ، صـــلوه ، ثم فى سلسلة ذرعها سـبعون ذراعا فاسلكوه ، انه كان لا يؤمن بالله العظيم »(٦)٠

وليس الفرد مسئولا أمام المجتمع والدين فحسب بل هو مسئول أمام نفسه أيضا فالاسلام يقرر مسئولية النفس عن ذاتها فالفرد يقف من نفسه موقف الرقيب يهديها ان ضلت ، ويمنحها حقوقها المشروعة ، ويحاسبها ان أخطأت ويتحمل تبعة اعماله لها ٠

قال تعـــالى :

« ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من ذكاها ، وقد خاب من دساها » (٧) ٠

« ياأيها الذين آمنـوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم (٨)٠

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٥
(٢) سورة الملك آية ١٥
(٣) سورة الاعراف آية ٣١
(٤) سورة النازعات آية ٣٧ ــ ٤١
(٥) سورة البقرة آية ١٩٥
(٦) سورة الحاقة آية ٣٠ ــ ٣٤
(٧) سورة الشمس آية ٧ ــ ١٠
(٨) سورة المائدة آية ١٠٥

فالحرية الفردية والمسئولية الشخصية فى الاسلام تتكافآن وتتكافلان ٠

والفرد مسئول أمام الله والمجتمع عن أسرته كما أن الاسرة مسئولة عن أبنائها ٠

قال تعـــالى :

« وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقـل لهما أف ولا تنهرهمـا وقل لهما قولا كريما » (١)

« والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها ٠٠» (٢)

والانفاق على الابناء هو أفضل وأحق أوجه الانفاق فى الاسلام ٠ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أفضل دينار ينفقه الرجل : دينار ينفقه على عياله ، ودينـــار ينفقه الرجل على دابته فى سبيل الله ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله (٣)

ومن مسئولية الوالدين حسن أختيار أسماء أبنائهم كما ورد فى الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويعلمـــه الكتـــابة ويزوجه اذا بلغ » (٤) ٠

وانفاق الابناء على الوالدين فى الكبر صورة من صور الجهاد فى سبيل الله ، عن عبد الله بن عمر قال :

« جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم يستأذنه فى الجهاد فقال : أحى والدك ؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد »(٥) ٠

وقد حظيت الام فى الاســـلام بنصيب أكبر من المسئولية والرعاية من أبنائها ٠

فالفرد مسئول عن امه بالرعاية والانفاق وحسن المصاحبة والمعـاملة

---

(١) سورة الاسراء آية ٢٣
(٢) سورة البقرة آية ٢٣٣
(٣) صحيح مسلم جـ ٧ صفحة ٨١
(٤) رواه أبو نعيم
(٥) صحيح مسلم جـ ١٦ صفحة ١٠٤

حتى ولو كانت الأم سيئة الخلق ، جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو اليه سوء خلق أمه وسوء معاملتها له ، فقال له الرسول : لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر ؟ فأعاد الرجل قوله : انها سيئة الخلق ، فقال الرسول : لم تكن سيئة الخلق حين أرضعتك حولين ؟ فأعاد الرجل قوله مرة ثالثة انها سيئة الخلق ، فقال له الرسول : لم تكن سيئة الخلق حين أسهرت ليلها وأظمأت نهارها من أجلك ، فقال الرجل : لقد جازيتها ، فقال الرسول ما جزيتها ولو بطلقة واحدة من طلقات الولادة ٠

والتكافل الاجتماعى بين أفراد الاسرة الواحدة وبين الاجيال المتتابعة يظهر فيما شرعه الاسلام فى نظام الأرث وتقسيم الميراث بالعدل بين الأسرة والأبناء كما جاء فى سورة النساء فاذا كان الابناء يرثوا من آبائهم تكوينهم الجسمانى والاستعدادات السوية أو المرضية التى تفرض عليهم كثيرا من أوضاع مستقبلهم ان خيرا أو شرا دون أن يكون لهم يد فى رد هذه الوراثة الطبيعية أو تعديلها فانه من العدل الاجتماعى أن يرث الابناء أيضا جهود أبويه المادية ليكون هناك شىء من التعادل بين المغانم والمغارم ٠

والعلاقة بين أفراد المجتمع من وجهة نظر الاسلام هى علاقة روحية خلقية وليست علاقة مادية فالعلاقة بين الافراد فى المجتمع الاسلامى تقوم على الاخاء والمحبة والمودة والتعاون والايثار والعدل والرحمة وايتاء ذى القربى ورعاية الجار والعطف على الفقراء والمساكين وحفظ أموال اليتيم حتى يبلغ أشده وبالوالدين احسانا ٠

والمجتمع المثالى من وجهة نظر الاسلام هو المجتمع الذى يتعاون أفراده وتخدم كل فئة الاخرى دون حقد أو حسد ٠

قال تعالى :

« ولا تتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض ٠٠٠٠ » (١) ٠

وهو المجتمع الذى يخلو من الظلم والرشوة وشهادة الزور وهو المجتمع الذى يعمل من أجل الحياة الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا ٠ وهو المجتمع

---

(١) سورة النساء آية ٣٢

الذى يحسن كما يحسن الافراد اليه فيعود الخير والرخاء على الجميع ٠

قال تعـــالى :

« ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم » (١) ٠

وقال تعالى :

« فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور » (٢) ٠

وقال صلوات الله عليه : « الراش والمرتشى فى النار » ٠

وقال ٠٠٠ « من غشنا . فليس منا » ٠

وقال تعالى :

« وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم » (٣) ٠

وعلى هذا الاساس فان التربية فى المجتمع الاسلامى تقوم على أساس مبدأ هام من مبادىء الديمقراطية وهو اتاحة الفـرص امام جميع الافراد للحصول على ما يناسبهم من التعليم فيكون الغنى بجوار الفقير فى حلقة العلم دون تفرقة او تمييز٠وفى أداء فرائض العبادة وخاصة فى الصلاة والحج يكون الفقير بجوار الامير يجمعهم التقوى والايمان والطهارة والخشوع لله دون تفرقة بينهم او فضل لأحدهما على الآخر ٠

نظرة الاســلام الى طبيعة الفــرد

يسلم الاسلام بان الانسان ذو طبيعة اجتماعية عقلانية فالعقل هو أفضل ما وهبه الله للانسان وينطلق الاسلام فى بنائه التربوى من نظرة متكاملة للطبيعة البشرية فالانســان ذو امكانات عقليـــة وجسمية ونفسية واجتماعية وروحية والقرآن عندما يخاطب الانسان يخاطب عقله وقلبه ووجدانه فى آن واحـد ٠

ونظر الاسلام الى الطبيعة البشرية أنها ذكية بالفطرة مفكرة بالغريزة وهذا الذكاء وهذا الفكر يحتـــاج الى تنمية ٠ ولذا بعث الله الرسل بالعلم والحكمة ليعلموا البشر ٠

---

(١) سورة البقرة آية ١٨٨
(٢) سورة الحج آية ٣٠
(٣) سورة الاسراء آية ٣٥

قال تعـــالى :

« هو الذى بعث فى الأميين رسـولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » (١) ٠

ويسلم الاسلام بأن الحواس البشرية هى أبواب العلم والمعرفة فالتفكير والتدبير والتعقل يكون عن طريق المشاهدة والملاحظة والتأمل والاستماع ٠

قال تعـــالى :

« والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون » (٢) ٠

ومن الصفات التى ذكرها القرآن فى طبيعة الانسان هى العجلة والتسرع وقد تكون هذه الصفة وصفا لحالة تنتاب جميع أنواع الانسان ٠

قال تعـــالى :

« ويدع الانسان بالشر دعاؤه بالخير وكان الانسان عجولا » (٣) ٠

« خلق الانسان من عجل سأوريكم آياتى فلا تستعجلون » (٤) ٠

وقال تعالى لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام :

« ولا تعجل بالقـــرآن من قبـــل أن يقضى اليك وحيـــه وقل رب زدنى علمـــا » (٥) ٠

« لاتحرك به لسانك لتعجل به ، ان علينا جمعه وقرآنه ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ، ثم ان علينا بيانه » (٦) ٠

وهذا الامر من الله الى الرسول صلوات الله عليه بعدم العجلة يدلنـــا بأن هذه الصفة يستوى فيها المؤمن والكافر أى أنها طبع فى عمـــوم جنس الانسان ولذا يلزمنا الله سبحانه وتعالى بأن يتروى الانسان المؤمن فى احكامه ولا يتسرع فى أقواله وأفعاله ٠

---

(١) سورة الجمعة آية ٢
(٢) سورة النحل آية ٧٨
(٣) سورة الاسراء آية ١١
(٤) سورة الانبياء آية ٣٧
(٥) سورة طه آية ١١٤
(٦) سورة القيامه آية ١٦ ـ ١٩

قال تعـــالى :

« يا أيهـــا الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » (١) ٠

ومن الصفات العقلية فى الطبيعة البشرية هى صفة الجدال ٠

قال تعـــالى :

« ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثـــل وكان الانسان أكثر شىء جدلا » (٢) ٠

وقوله تعـــالى :

« ويجادل الذين كفروا بالباطل ليد حضوا به الحق » (٣) ٠

والمجادلة بهدف الوصول الى الحق واردة فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن » (٤) ٠

« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها » (٥) ٠

ونظر الاسلام الى طبيعة عقل الانسان بأن من خاصيته النسيان وقد جاءت مادة النسيان فى القرآن مقترنة بأحوال الكفـــار تارة ومقترنة بأحوال المؤمنين تارة أخرى وهذا ما يوضح عموم النسيان فى الطبيعة البشرية ٠

قال تعـــالى فى الكفـــار :

« ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم » (٦) ٠

« يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به » (٧) ٠

وقال تعـــالى :

« ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسـوا يوم الحساب » (٨) ٠

---

(١) سورة الحجرات آية ٦
(٢) سورة الكهف آية ٥٤
(٣) سورة الكهف آية ٥٦
(٤) سورة العنكبوت آية ٤٦
(٥) سورة المجادلة آية ١
(٦) سورة الحشر آية ١٩
(٧) سورة المائدة آية ١٣
(٨) سورة ص آية ٢٦

وفى نسيان المؤمن :

كان على قمة البشرية الانبيـــاء والرسل ولكنهم صلوات الله عليهم لا تخرجهم العصمة عن ظاهرة النسيان المقيد بما لا يجر على الشريعة نقصا او على انفسهم اتهاما ٠

والنسيان فى حياة الانبياء انما هو ضعف البشرية الفارق بين الخـالق والمخلوق مهما ارتقى ٠ وأول نسيان فى عالم البشر ماقصة الله عن ابو البشر آدم عليه السلام رمزا الى أن هذا الامر هو من خاصة الجنس الى يوم الدين ٠

قال تعـــالى :

« ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » (١)٠

وعلى النسق كان النسيان البرىء عن المخالفة والمترك للفروض كان نسيان يوشع بن نون عليـــه الســـلام للحـــوت فقـــال لموسى عليـــه الســـلام فى قوله تعـــالى :

« أرأيت اذ أوينا الى الصخـــرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره » (٢) ٠

وقال المؤمنون يدعون الله فى قوله تعالى :

« ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا او أخطانا ٠٠٠ » (٣)

وقد وضعت **نظرية التربية فى الاسلام** علاجا لهذا الضعف فى الطبيعة البشرية بنزول آيات الذكر الحكيم لتكون هدى ورحمة للمؤمنين فمن يتقى ربه ويذكره يطمئن قلبه قال تعالى :

« ان الذين اتقـــوا اذا مسهم طائف من الشيطـــان تذكروا فاذا هم مبصرون » (٤) ٠

وما رسلة الرســل عليهم الصـــلاة والسلام الا تذكرة للمؤمنين واذكاء لعقولهم وتنمية لفكرهم وحثهم على التدبر والتعقل والرجوع الى أهل الذكر ان كانوا لا يعلمون وتوضح الآية الكريمة اهداف العملية التعليمية فى الرسالة السماوية فى قوله تعالى :

---

(١) سورة طه آية ١١٥
(٢) سورة الكهف آية ٦٣
(٣) سورة البقرة آية ٢٨٦
(٤) سورة الاعراف آية ٢٠١

« عبس وتولى ، ان جاءه الاعمى ، فما يدريك لعله يزكى ، أو يذكر فتنفعه الذكرى » (١) ٠

وقوله تعـــالى :

« فذكر انما أنت مذكر ، لست عليهم بمصيطر » (٢) ٠

قال تعـــالى :

« انظروا ماذا فى السموات والارض » (٣) ٠

وقوله تعـــالى :

« واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع ممـا عرفوا من الحق ٠٠ » (٤) ٠

ومن كانت حواسه معطلة فهو فى غفـــلة عن العلم ولا فرق بينه وبين الحيـــوان ٠

قال تعـــــالى :

٠٠ لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بهـا ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » (٥) ٠

والاسلام لمعرفته بامكانات الطبيعة البشرية وقدرة الفرد على التـأمل والتفكير والتدبير فانه يحث الناس على التفكير وطلب العلم والمعرفة ، التفكير فى الطبيعة الكونية والتفكير فى الطبيعة الانسانية وفى النفس البشرية حتى يروا عجزهم أمام قدرة الخالق وأنه له ملكوت السموات والارض وان الله هو الخالد الباقى والانسان مصيره الفناء مثله مثل أى شىء مادى على الارض ٠

ونظر الاسلام الى الناحية الجسمية فى الطبيعة البشرية على أنهـا ضعيفة فالانسان منذ ميلاده حتى مماته يحتاج الى من يعـاونه ويرعاه فى الحياة الدنيا ولابد أن يتعلم كيف يقضى حاجاته ويحقق رغباته وكيف يحمى

---

(١) سورة عبس الايات ١ ـ ٤
(٢) سورة الغاشية آية ٢١ ، ٢٢
(٣) سورة يونس آية ١٠١
(٤) سورة المائدة آية ٨٣
(٥) سورة الاعراف آية ١٧٩

هذا الجسم الضعيف من قوى الطبيعة . وخلق الانسان ضعيفا أمام شهواته واهوائه ورغباته فلابد ان ينزل من عند الله رحمة وهدى فيرسل الله رسله وكتبه ليهدى الانسان للتى هى أقوم .

« يريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما ، يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » (١) .

وقد ورد فى آيات من القرآن ما يصف الطبيعة الانسانية بأنها ظلومة جهولة يئوسة ، جزوعة عند الشر منوعة عند الخير .

ويقول الدكتور عبد الفتاح جلال فى كتابه « من الاصول التربوية فى الاسلام ، أن هذه الصفات للطبيعة البشرية ترتبط بالكفار فى القرآن الكريم ، واذا ما افترضنا أن المقصود بها عموم جنس الانسان فى الآية فيكون المراد أنه فى حالة عصيانه لربه وعدم قيامه بواجباته وتكاليف الامانة فقط يكون ظالما لنفسه جاهلا بربه . وهذه صفات ترتبط بحالة من حالات النفس البشرية وليس صفات لعموم الانسان . والله أعلم بالصواب . وفيما يلى هذه الايات :

قال تعالى :

« أن الانسان خلق طوعا . اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا » (٢) .

« واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر كان يؤسا » (٣) .

« انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » (٤) .

---

(١) سورة النساء آية ٢٧ ـ ٢٨
(٢) سورة المعارج الايات ١٩ ـ ٢١
(٣) سورة الاسراء آية ٨٣
(٤) سورة الاحزاب آية ٧٢

خلق الانسان ضعيفا امام اغـواء الشيطان :

لقد أدرك الشيطان انه قادر على اغواء البشر جميعا الا عباد الله المتقين وقد اعتمد فى غوايته على ضعف الانسان فقد خلق الانسان ضعيفا بطبيعتـــه امام الشهوات والاهواء ،

قال تعـــالى :

« زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الدنيا والله عنده حسن المـآب » (١) ٠

وقد عرف الشيطان ان الانسان يحب أن يفسـد فى الارض ويميل الى التدمير وسفك الدماء ، فاستغل الشيطان نقاط ضعف الانسان فتوعد غوايته حتى يقلل من شأنه أمام الله الذى اصطفاه دون المخلوقات جميعا ليجعله فى الارض خليفـــة ٠

قال تعـــالى :

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيهـا من يفسد فيها ويسفك الدماء » (٢) ٠

وتبدأ قصة العداء بين الانسان والشيطان منذ خلق الله آدم عليـــه الســـلام ٠ فقد سوى الله آدم من طين من صلصال من حماء مسنون ، ثم نفخ فيه من روحه ، فسرت فيه نسمة الحياة ، وصار يتحرك بارادته ،ويشعر بحواسه ، ويدرك بعقله ثم غمره الله بفضله وأفاض عليه من نوره ، وعلمه الاسماء كلها ، ولما اغترف آدم من فيض ربه واقتبس من نور علمه ورسخت قدمه فى المعرفة ، حينئذ أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم اعترافا بما منحه الله من علم وآثره به من معرفة فسجدوا اذعانا لما بهرهم من حكمة الله البالغة ، أما ابليس فقد أبى واستكبر وامتنع أن يسجد لآدم ، وزعم أنه خير من آدم عنصرا واذكى منه جـوهرا وقال : « أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤
(٢) سورة البقرة آية ٣٠

طين (١) ولما جهر ابليس بالعصيان لامر ربه جازاه الله عن عصيانه وعاقبه على مخالفتـــه قائلا له « أخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنـــة الى يوم الدين » .

قال تعـــــالى :

« ان الشيطان للانسان عدو مبين » (٢).

طرد الله ابليس من رحمته واسكن ادم وزوجه الجنة وحذرهما الشيطان وكيده ، وأمرهما الا يسمعا له قولا أو يطيعا له أمرا واباح لهما أن يأكلا من الجنة رغدا حيث شاءا واطلق لهما العنان فى اجتناء مايريدان من ثمارها الا شجرة واحدة نهاهما الله أن يقربا منها وتوعدهما أن يدخلا فى زمرة الظالمين ان قرباها أو تناولا شيئا من ثمارها ووعدهما أن يمد لهما فى أسباب النعيم ان اجتنبا الشجرة التى نهاهما عنها فلا يمسهما جوع أو عرى ولاينالهما ظما أو نصب . فقال تعالى :

« .. أسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » (٣) ، « ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لاتظمأ فيها ولا تضحى » حز ذلك فى نفس ابليس وعز عليه أن ينعم آدم وزوجه ، بينما هو مطرود من رحمة الله مبعـد عن جنته ، فعزم على الثأر من آدم ، وعزم على حرمانه مما يتمتع من نعيم ، وتربص الشيطان أول ما تربص بآدم وزوجه ، فتودد اليهما واظهر عطفه واشفاقه من زوال نعمتهما ، وخوفه من تقويض عرش سعادتهما . « فقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين » (٤) واقسم لهما انه من الناصحين فاكثر والح وتمادى فى اغوائه فاغترا بقوله وافتتنا بزخرف لفظه ومعسول وعده ، وتابعا رأيه نزلا باغوائه .

فلما خرجا عن أمر ربهما سلبهما نعمته وحرمهما جنته قال تعالى :

« وناداهما ربهما ألم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين » (٥) فندما على فعلتهما وتابا الى الله فتاب عليهما وغفر لهما

---

(١) سورة الاعراف آية ١٢
(٢) سورة يوسف آية ٥
(٣) سورة البقرة آية ٣٥
(٤) سورة الاعراف آية ٢٠
(٥) سورة الاعراف آية ٢٢

زلتهما فانثلج ذلك صدرهما وقرت به عينهما وانبثق الامل فى نفسيهما بالبقاء فى الجنة

« وقالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (١) ٠

وقد علم الله ما جال بخاطرهما ووقف على ماتطلعت اليه نفسهما فامرهما بالهبوط منها وانبأهما أن العداوة بينهما وبين ابليس ستظل قائمة ليحذرا الفتنه منه هما وذريتهما من بعدهما

« أن الشيطان للانسان عدو مبين » (٢) وخاصة أن الشيطان قد توعد بأن يكون مترصدا لغواية الانسان جاهدا فى اضلاله فى كل قول أو فعل ٠ مشاركا فى كل ما يتعلق بحياته قائلا لربه ٠

« فبما أغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين » (٣) ٠

فحذر الله بنى آدم جميعا من غواية الشيطان فى قوله تعالى :

« يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ، أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون » (٤) ٠

ولما كان الانسان قد خلق ضعيفا أمام اغواء الشيطان فقد أنزل الله له منهجا تعليميا وتربويا نظريا وعمليا فى كتاب مبين ليكون للانسان هدى ورحمة ٠اذ أن من بين ما تدعو اليه الكتب السماوية والرسالات النبوية هو تحذير الانسان من اتباع اغواء الشيطان ، وتقديم آيات من العلم والمعرفة يتعلمها الانسان فتكون درعا له يدفع بها الشيطان وتكون نورا يهتدى به الانسان فيكون أقوى من الشيطان فكلما ذكر الانسان ربه كثيرا وكلما حرص على الاستزادة من العلم والمعرفة الربانية كان ذلك رجما للشياطين وقهرا لاغوائهم ومن بين ما علمه الله للانسان ليصد عنه الشيطان قوله تعالى :

---

(١) سورة الاعراف آية ٢٣
(٢) سورة يوسف آية ٥
(٣) سورة الاعراف آية ١٦ ، ١٧
(٤) سورة الاعراف آية ٢٧

« قل أعوذ برب الناس . ملك الناس ، اله الناس ، من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ، من الجنة والناس » (١) ٠

ومما يدل على أن العلم الالهى يجعل الانسان أقوى من الشيطان وأكثر منه مهارة ماجاء فى قوله تعالى فى قصة سليمان وملكة سبأ « قال ياايها الملؤ أيكم يأتينى بعرشها قبل ان يأتونى مسلمين ، قال عفريت من الجن أنا اتيك به قبل أن تقوم من مقامك وانى عليه لقوى امين ، قال الذى عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربى غنى كريم » (٢) ٠

وقال عليه الصلاة والسلام : « فقيه واحد أشد على الشيطان من الف عابد » (٣) ٠

فالانسان خلق ضعيفا ولكنه يكون قويا بالعلم والمعرفة وتنزول الكتب السماوية وبعث الرسل والانبياء بالعلم والحكمة التى وهبها الله لهم من لدنه هو وعد من الله الى آدم ورحمة من الله على ذرية آدم ونبيه حتى يهتدوا بنور الله ويتبعوا الصراط المستقيم ٠

قال تعالى :

« قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى ، فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٤) ٠

وصدق وعد الله وارسل الهدى فى كتابه الكريم على يد رسوله الامين قال تعالى

« ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » (٥) ٠

ونظرة الاسلام الى طبيعة الفرد بالنسبة الى قضية الخير والشر فيه ، تدل على نظرة شاملة متكاملة للتكوين البشرى ٠ فالانسان خلقه الله من طين من حماء مسنون ثم نفخ الله فيه من روحه ومن هذين التركيبتين المادة الطينيه

---

(١) سورة الناس آية ١ ـ ٦
(٢) سورة النمل الايات من ٣٨ ـ ٤٠
(٣) رواه الترمذى وابن ماجه ٠
(٤) سورة البقرة آية ٣٨ ٠
(٥) سورة البقرة آية ٢ ٠

التى تكون منها الجسم ، والروح اللطيفة الالهية التى أكرم الله بها الانسان يتكون الشر والخير معا • فالاسلام يرى أن الطبيعة البشرية خيرة بالفطرة وشريرة بالفطرة ، والعقل هو الذى يحكم ويتحكم فى سيادة أحد هاتين القيمتين على الاخرى وللانسان مطلق الحرية للتصرف بعقله فى اتباع الخير او الشر وقد بين الله فى كتابه العزيز مصير كل طريق منهما فمن فعل خيرا له ثوابه ومن فعل شرا حق عليه العقاب •

قال تعـــالى

« واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمـاء مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين » (١) •

« ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من ذكاها ، وقد خاب من دساها » (٢) •

« وهديناه النجدين » أى طريقى الخير والشر معا •

وبالعلم والتعليم تهتدى النفس الى الاعمال الصالحة الفاضلة وتتعرف على الافعال الرذيلة الضارة ومن ذكر نفسه بالعلم واتبع طريق الخير يفلح فى الحياة الدنيا والآخرة ، ومن دس نفسه فى طريق الشر خاب فى الدنيا وحق عليه عذاب الله فى الاخرة •

وفى سياق هذه النظرة الاسلامية للطبيعة الانسانية التى خلقها الله ضعيفة فاننا نجد موقف الاسلام من هذه الطبيعة الفردية نظرة رحمة واشفاق بها فالدين الاسلامى لا يقسو على النفس البشرية بالزهد فى اشباع حاجاتها وانما يقر مطالبها بالطـرق المشروعة فى القرآن الكريم وفقا لعوامل الضبط الفردى والاجتماعى التى سبق الحديث عنها • ولذا جاءت نظرية التربية فى القرآن بناء على فهم حكيم لمتطلبات الطبيعة البشرية ونظرت الى الانسان نظرة كلية فى اطار المجتمع الذى يعيش فيه وفى اطار مقدرة الانسان على اتباع الخير « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ومن أخطا ومال الى الشر والرذيلة فأمامه باب التوبة مفتوح على أن تكون توبة نصوحة قال تعالى :

---

(١) سورة الحجو آية ٢٨ ـ ٢٩
(٢) سورة الشمس من ٧ ـ ١٠

« يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ٠٠ »٠

وادراك الاسلام لطبيعة الانسان جعلته يقرر ضرورة تنمية جميع جوانب شخصيته مادية وروحية على حد سواء دون تنمية ناحية على حساب الاخرى ٠ ولذا وضع ـ الاسلام لكل جانب من جوانب شخصية الانسانية برنامجا خاصا لاشباعه وتنميته فى حدود تبتعد عن الافراط والتفريط وطلب من الانسان التوازن والتوسط فى كل أمر من أمور حياته ولتنمية الجانب المادى فى الانسان يقول الرسول الامين عليه السلام ٠ « ان لبدنك عليك حقا »

وقال تعـــالى

« ولا تنس نصيبك من الدنيا » ٠ « وخلق لكم ما فى الارض جميعا »٠

« كلوا وأشربوا ولاتسرفوا »٠« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبـــات من الرزق » ٠٠

وحفاظا على الجانب المادى ورعاية له فقـد حرم الله مايسبب اضرارا للجسم مثل أكل الميتة والدم ولحم الخنزير والخمر ونحوها ، قال تعالى :

« حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله والمنخنقة والموقودة والنطيحة وما أكل السبع الا ما ذكيتم » ٠

ولتنمية الجانب الروحى فى الانسان فرض الله الصلاه والصيام والزكاة وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا٠وقراءة ماتيسر من القرآن صبحا واصيلا وذكر الله كثيرا ٠

قال تعـــالى

« فاقرءوا ماتيسر منه وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة واقرضوا الله قرضا حسنا ٠٠ » (١) ٠

غير أن التربية الاسلامية لم تهدف الى اعداد الفرد للحياة الدنيا فحسب بل أن الحياة الدنيا هى دار ممر للحياة الآخرة ، فالحياة الدنيا قصيرة وفانية مهما طالت ومهما حقق فيها الانسان ، والاخرة خير وأبقى لانها دار خلود ، وخير دليل على فناء الحياة الدنيا هو أن « كل نفس زائقة الموت » (٢) ٠

---

(١) سورة المزمل آية ٢٠
(٢) سورة آل عمران آية ١٨٥

قال تعـــالى

« وابتغ فيما أتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الد نيا » ٠

وابتغاء الدار الاخرة والخلود فى جنة الاخرة هو أهم جانب من جوانب **النظرية التربوية فى الاسلام** ويرتبط بهذا الجانب تعليم الفرد واقتناعه بأن هناك بعث للانسان من جديد٠فالايمان بالبعثهو سر فلاحه وصلاحه فىالدنيا والاعتقاد فى خلود الروح بعد الممات يجعل الانسان يعمل لاخرته ٠ فيفضـل الخير ويتجنب الشر ويعمل صالحا من أجل الفوز بجنة الخلد بعد البعث ٠

قال تعـــالى

« زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئون بمـا عملتم وذلك على الله يسير (١) ٠

واذا حرص الانسان على الفوز بالخلود فى الآخرة فان ذلك يحقق له الخلود فى الدنيا كذلك قال الرسول عليه الصلاة والسلام :

لا ينقطع ذكر ابن آدم من ثلاث : عمل صالح ، وعلم ينتفع به ، وولد صالح يذكر اسمه » ٠

وخلاصة القول أن نظرية التربية فى الاسلام هى أكملالنظريات التربوية على الاطلاق حيث تناولت الفرد والمجتمع من جميع جوانبهما بمنهج تعليمى الهى واشتملت على نظام تربوى يعد الانسان للحياة الحاضرة والمستقبل ويعرفه بماضيه وتاريخه من خلال قصص الانبياء والاقوام والقرى فى العصور السابقة على الاسلام ليتخذوا منها عظة وعبرة وخبرة توجه أعمالهم فى الحياة الدنيا والآخرة ٠ وبنيت النظرية التربوية على أساس العمل بما يتعلمه الفرد فالعلم الذى جاء فى القرآن ليس من أجـل الحفظ فى الذاكـرة فقط ولكن من أجل العمل به والافادة منه واذا اختلف المتعلمون فى شىء فيردوه الى من هم أعلم منهم ولايجحم الانسان بنفسه فيما ليس له به علم ٠

قال تعـــالى :

« ولا تقف ما ليس لك به علم » ٠

وقال عليه الصلاة والسلام :

« ان من العلم أن يقول المرء لما لا يعلم ، الله أعلم ،فان الملائكة المقـربين لم تستحى حين قالت فى قوله تعالى :

---

(١) سورة التغابن آية ٧

« لا علم لنا الا ما علمتنا » .

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام :

« انما الامور ثلاثة : أمر تبين لك رشده فاتبعه ، وأمر تبين لك زيفه فاجتنبه وأمر اختلف فيه فكله الى عالمه » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ماتمسكتم بهما : كتاب الله وسنتى » .

وعن مكحول عن عبد الرحمن بن غنم قال : حدثنى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : كنا نتدارس العلم فى مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ، « تعلموا ما شئتم ان تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا » .

وقال عيسى عليه السلام للحواريين « نحن أقول لكم أن قائل الحكمة وسامعها شريكان ، وأولاهما بها من حققها بعمله ، يا بنى اسرائيل ما يغنى عن الاعمى معه نور الشمس وهو لايبصرها ، ومايغنى عن العالم كثرة العلم وهو لا يعمل به » .

والعلم فى الاسلام هو العلم الذى يخاطب العقل والقلب معا وقد حدد رسول الله صلى الله عليه وسلم . العلم بثلاث اذ قال : « العلم ثلاثة وماخلا فهو فضل علم : آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة » .

وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فرأى جمعا من الناس على رجل فقال : وماهذا ؟ قالوا : يارسول الله رجل علامة . قال : وما العلامة ؟ قالوا : أعلم الناس بانساب العرب ، وأعلم الناس بعربية واعلم الناس بشعر ، وأعلم الناس فيما اختلف فيه العرب ، فقال : هذا علم لاينفع وجهل لايضر » .

ومعنى ذلك أن العلوم قسمان : علم أساسى هو علم الدين والفقه وعلم ثانوى هو فضل علم وهى العلوم الدنيوية ، والعالم لا يكون عالما الا اذا اتخذ من القرآن والسنة أساسا دعامة لكل علم يبحث فيه من علوم الدنيا .

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ؟ قالوا : بلى ، قال : من لم يقنط الناس من رحمة الله ، ولم ييئسهم من روح الله ولم يؤمنهم من مكر الله ، ولايدع القرآن رغبة عنه الى ماسواه الا لا خير فى عبادة ليس فيها تفقه ، ولا علم ليس فيه تفهم ، ولا قراءة ليس فيها تدبر » .